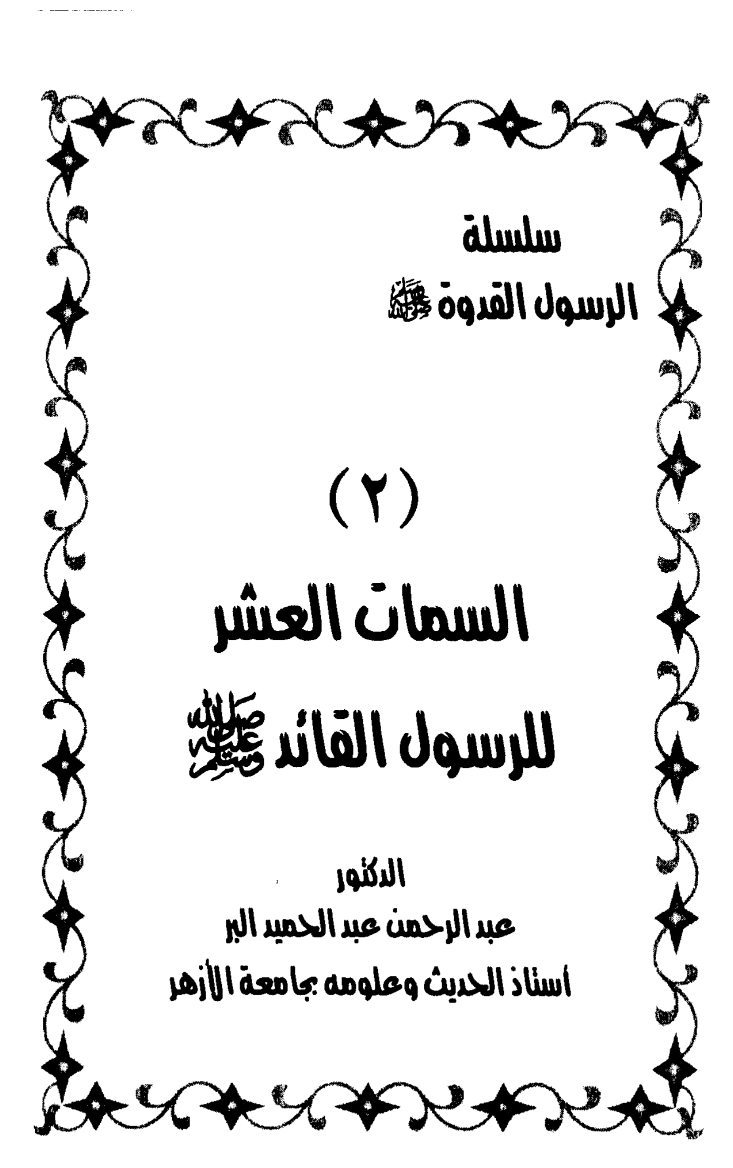


سلسلة

الرسول القدوة ﷺ

(٢)

السمات العشر للرسول القائد ﷺ

الدكتور

عبد الرحمن عبد الحميد البر

أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

السمات العشر للرسول القائد(ص)
د/عبد الرحمن عبد الحميد البر
شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٠٠٧/١٢/٣
رقم الإيداع ٢٥٥١٣ /٢٠٠٧
الترقيم الدولي 5- 03 -6252- 977- 978

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، وحجة الله على العالمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المتبعين لسنة نبيه وحبيبه ﷺ، الواردين حوضَه، الشاربين من يده يوم القيامة مشرباً هَنِيّاً رَوِيّاً سائغاً زكيّاً، إنه على كل شيء قدير.

أما بعد، أحبتي في الله، فقد أوضحنا في الرسالة السابقة (**لماذا الرسول قدوتنا**) أنَّ أجدرَ الناس بأن يُستَنَّ بسنتهم، ويُهتدَى بهديهم، هم أنبياء الله ورسله، أولئك الصفوة الذين جعلهم جل وعلا منارةَ الخلق، وأمر نبيَّه ﷺ أن يقتديَ بهم، ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ (الأنعام: ٩٠)، وأَوْلَاهم قاطبةً في الاهتداء بهديه والاقتداء بسنته هو الحبيب ﷺ، ذلك النبي العظيم، الذي دعانا رب العباد تبارك وتعالى إلى متابعته، فقال جل من قائل: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾ (الأحزاب: ٢١)، وجعل اتباعَه والسيْرَ على منهاجه أمراً

واجباً لا يحلُّ التخلُّف عنه.. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر:٧)، وجعل هذا الاتباعَ علامةَ الإيمان الحقيقية ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)

ومن سمات اتباعه ﷺ أن يكون في كل مناحي الحياة؛ فالنبي صلوات الله وسلامه عليه يتميز على غيره حتى من الأنبياء والرسل بأن سيرتَه المحفوظةَ وآثارَه المعروفةَ شاملةٌ لكل مجالات الحياة؛ يجد المعلمُ فيه أسوةً، ويجد الأبُ فيه أسوةً، ويجد التاجرُ فيه أسوةً، ويجد الفقيرُ فيه أسوةً، ويجد الغنيُّ فيه أسوةً، ويجد القائدُ فيه أسوةً، ويجد المقودُ فيه أسوةً.. وهكذا كل أصناف الناس، وكل مجالات الحياة لا تخلو من وقائع عملية تطبيقية قام بها النبي ﷺ تصلح لأن يتأسى بها الناس وأن يقتدي بها جميع الخلق..

وفي هذه الرسالة سنتناول جانباً من جوانب القدوة في حياته ﷺ، وهي قدوة المسئول والقائد.. فقد كان ﷺ صاحبَ المسئولية العظمى في دولته الكريمة التي أسسها على تقوى من الله ورضوان.. أقام دولةً راشدةً عادلةً كريمةً، أحيا فيها كل أسباب العدل، وملأ الحياةَ فيها خيراً وبراً وبركةً، وكان ﷺ ذا مسئولية في

التبليغ، أقام رسالة، ونشر دعوة، وجاهد لها جهاداً كبيراً، فكان نعم القائد صلوات الله وسلامه عليه..

إذا نظرنا في هذا الجانب، وأردنا أن نذكر بعض جوانب القدوة فيه كقائد ﷺ، وجدنا أمورا مهمة جدا لا بد أن نقف عندها، وسأعُدُّ منها في هذه الرسالة عشرا، على النحو التالي :

١ - قائدٌ والد :

فالنبي كقائد ﷺ كان يرى نفسه من أمته بمنزلة الوالد، فالقائد والد، والقيادة شفقة ورحمة. وقد كان ﷺ يقول لهم هذا، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ**»(١).

ومن مظاهر تلك الوالدية الكريمة: أنه ﷺ لما فتح الله عليه الفتوح كان يقضي ديون الميت من رعيته إن لم يترك له قضاء، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَيَسْأَلُ: « **هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا** » فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**»، فَلَمَّا فَتَحَ

---

١١) أخرجه أبو داود في كتاب:الطهارة باب:كراهية استقبال سننه القبلة عند قضاء الحاجه ١/ ٣ (٨) وحسنه الألباني.

الله عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ»(١)

هكذا كان ﷺ يعتبر نفسه من رعيته والدا، والوالد لا يرجو لأولاده إلا الخير ولا يحب لنفسه إلا ما يحب لهم، بل يَعْلَمُ النَّاسُ من كل الأجناس أن أكثر الناس رغبة في أن يكون أولاده على خير منه.. هو الوالد، وهكذا كان نظر النبي ﷺ إلى رعيته، نظر القائد إلى أولاده، في شفقته ورحمته وشغله الشاغل بهذه الرعية، فهو القائل ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...» الحديث(٢).

كان ﷺ يجد نفسه بين رعيته وبين أمته ذلك الرجل الكريم في أهله، ومن ثَمَّ كان صلوات الله وسلامه عليه بهم رفيقا، يقودهم

---

(١) أخرجه البخاري في كِتَاب: الكفالة، بَاب الدين ٤/ ٤٧٧ (٢٢٩٨)، ومواضع أخرى، ومسلم في كِتَاب: الْفَرَائِضِ، بَاب مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ ٣/ ١٢٣٧ (١٦١٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، بَاب الْجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ ٢/ ٣٨٠ (٨٩٣)، ومواضع أخرى، ومسلم في كتاب الإمارة، بَاب فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ ٣/ ١٤٥٩ (١٨٢٩).

قود الراعي الشفيق الذي يرتاد لرعيته أسباب الخير، ولا يوردهم موارد الهلكة.. لا يحملهم على ما يشق عليهم، ولا ينزلهم المنازل التي تعنتهم وتؤذيهم، ولا يكلفهم فوق طاقتهم.

بل كان ﷺ يجتهد في العمل لرعيته والنصح لهم أكثر مما يجتهد الوالد لولده، ويدعو من يلي أمور الناس إلى هذا الاجتهاد، ويحذره من غش الرعية أو التقصير في طلب الخير لها، فعن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» وفي رواية: «**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ الْجَنَّةَ**»(١)

٢ - قائد متواضع رفيق:

مع كونه ﷺ أوّلَ الناس وأولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإنه كان شديد التواضع لأدنى الناس منزلةً قبل أعلاهم. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ

---

(١) أخرجه مسلم في السابق وفي كتاب الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار١/ ١٢٥(١٤٢).

حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ يَنزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ(١).

وقال أيضا: إِنْ كَانَتْ الْخَادِمُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَهِيَ أَمَةٌ تَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله ﷺ فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْهَا حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَت(٢).

ويعد ﷺ الرفق من أعظم الأخلاق، ويقول: «**إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»(٣) . وفي رواية: «**إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي، في كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، باب تواضعه من جليسه ٤/ ٥٦٤ (٢٤٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٢٥٦)، وابن ماجه في كتاب الزهد، بَاب الْبَرَاءَةُ مِنْ الْكِبْرِ وَالتَّوَاضُعُ ٢/ ١٣٩٨ (٤١٧٧)

(٣) أخرجه البخاري عن عائشة في كتاب اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ باب إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يُصَرِّحْ ١٢/ ٢٨٠ (٦٩٢٧).

(٤) أخرجه مسلم عن عائشة في كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب فَضْلِ الرِّفْقِ ٤/ ٢٠٠٤ (٢٥٩٣).

ويقول: «مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ»(١)

ويدعو كل حاكم ومسؤول أن يجعل الرفق بالأمة والرعية شعارَه، فعن عائشة قالت: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: « اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»(٢)

و أمثلة رفقه ﷺ بالأمة كثيرة لا يحصرها العد، وصدق الله العظيم الذي وصفه بالرءوف الرحيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

٣ – قائد عادل يراعي الضعيف قبل القوي والبعيد قبل القريب:

لا يحابي في الحق ولدا ولا بنتا ولا حميا ولا قريبا ولا كبيرا ولا عظيما، بل الأمة كلها عنده سواء، ولا يُعطِي أعزَّ أهله قبل أن يعطي عموم الأمة من العطاء، فعن أُمِّ الْحَكَمِ أَوْ ضُبَاعَةَ ابْنَتَيْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهَا قَالَتْ: أَصَابَ رَسُولُ الله ﷺ سَبْيًا (أي:

(١) أخرجه مسلم عن جرير في الموضع السابق (٢٥٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، بَاب فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ ٣/ ١٤٥٨ (١٨٢٨).

غنائم من الكفار) فَذَهَبْتُ أَنَا وَأُخْتِي وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَأْمُرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنَ السَّبْيِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَبَقَكُنَّ يَتَامَى بَدْرٍ، لَكِنْ سَأَدُلُّكُنَّ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُنَّ مِنْ ذَلِكَ: تُكَبِّرْنَ اللهَ عَلَى إِثْرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قَالَ عَيَّاشٌ (أحد الرواة) وَهُمَا ابْنَتَا عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ.(١)

فيقدم ﷺ اليتامى من أبناء شهداء بدر على بنات عمه.

وحتى ابنتُه وأعزُّ الناس عليه، وأحبُّهم إلى قلبه، لا يفضلها على فقراء أهل الصفة، بل يقدم حاجتهم على حاجتها، فعَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ بَعَثَ مَعَهُ بِخَمِيلَةٍ وَوِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ وَرَحَيَيْنِ وَسِقَاءٍ وَجَرَّتَيْنِ فَقَالَ عَلِيٌّ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ذَاتَ يَوْمٍ: وَاللهِ لَقَدْ سَنَوْتُ (استقيت الماء للناس بالأجرة) حَتَّى لَقَدْ اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَدْ جَاءَ اللهُ أَبَاكِ بِسَبْيٍ،

---

(١) أخرجه البخاري في آخر كتاب: الأنبياء ٦/ ٥١٣ (٣٤٧٥) وغيره، ومسلم في كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره ٣/ ١٣١٥ (١٦٨٨).

فَاذْهَبِي فَاسْتَخْدِمِيهِ(أي اطلبي منه أن يعطيك خادما) فَقَالَتْ: وَأَنَا وَاللهِ قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجِلَتْ يَدَايَ(أي: نُزع جلدها). فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا جَاءَ بِكِ أَيْ بُنَيَّةُ**» قَالَتْ: جِئْتُ لأُسَلِّمَ عَلَيْكَ وَاسْتَحْيَت أَنْ تَسْأَلَهُ وَرَجَعَتْ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ. فَأَتَيْنَاهُ جَمِيعًا، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجِلَتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللهُ بِسَبْيٍ وَسَعَةٍ، فَأَخْدِمْنَا (أي: أعطنا عبدا يخدمنا)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ لَا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ**» فَرَجَعَا... الحديث في تعليم النبي ﷺ ما يقولانه دبر الصلاة وعند النوم، وأنه خير لهما من خادم.(١)

ولا يميز ﷺ بين أهله وبين رعيته في تطبيق الحدود الشرعية، بل يعد مثل هذا التمييز من أسباب هلاك الأمم، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ

---

(١) أخرجه أحمد (٨٣٨) بسند حسن، وأصل الحديث في الصحيحين.

رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١) .

أليس هو الذي يرغب في العدل ويحض عليه ويَعِدُ العادلين المقسطين بالجلوس على منابر النور عن يمين الرحمن، فيقول: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»(٢).

ومن كمال اهتمامه ﷺ بالضعفاء وذوي الحاجات بنى في مسجده الصفة التي كانت مأوى الغرباء والفقراء ومن لا أهل له ولا مال ، وكانت الصفة بجانب بيوته ﷺ ، وكان النازلون فيها هم ضيوفه وضيوف المسلمين ، ولم يكن ﷺ ينام قبل أن يطمئن

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذوي القربى ٣/ ١٥٠ (٢٩٨٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: بَاب فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ ٣/ ١٤٥٨ (١٨٢٧).

عليهم ، ولم يكن يتناول طعاماً أو شرابا من غير أن يشركهم فيه ، بل كان يطعمهم ويسقيهم قبل أن يأخذ حظه ﷺ ، وهاك نموذجاً واحداً من اهتمامه ﷺ بهذه الفئة الكريمة ، فعن مجاهد أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ كَانَ يَقُولُ : أَاللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنْ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهَّ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهَّ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي ثُمَّ قَالَ : «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ. قَالَ : «الْحَقْ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ : «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا : أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ . قَالَ : «أَبَا هِرٍّ» . قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ . قَالَ : «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» . قَالَ : وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ :

وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا ، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ؟ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ : «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**» قَالَ : فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ : «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : «**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**» . قُلْتُ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ : «**اشْرَبْ**» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ : «**اشْرَبْ**» حَتَّى قُلْتُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا . قَالَ : «**فَأَرِنِي**» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ [1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق ، باب : كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١/ ٢٨١(٦٤٥٢) ، والترمذي في كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ

٤ - قائد حافظ لحرمات الناس لا يتنصت على رعيته:

هذا القائد العظيم كان يرفض أن يتنصت على رعيته، أو أن يتعرف على أسرارهم، ويرى أن هذا من الخصوصيات التي يجب حمايتها، ولا يوجِّه بأن تُنصَب لهم آلاتُ التصوير الخفية لتصورهم حين يرتكبون جرائمهم، ولا يسلط الشُّرَطةَ أو غيرها لتتجسس على الناس المخالفين له حتى تقبض عليهم متلبسين!

بل إن توجيهاتِ القائد الكريم ﷺ هنا حاسمةٌ كلَّ الحسم في صيانة حرمات الناس الخاصة، وتحريم التجسس عليهم أوتتبع عوراتهم، سواء من قِبَل الأفراد، أومن قِبَل السلطات الحاكمة، فيقول ﷺ: «**مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ يَكْرَهُونَهُ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)، أي الرصاص المغلي المُذاب من شدة الحرارة، ويرفض ﷺ أن يبعث عيونه بين رعيته.. فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ الله عَوْرَتَهُ،**

رَسُولِ الله ﷺ، باب رقم (٣٦) ٤/ ٥٥٩ (٢٤٧٧).

(١) عن ابن عباس، أخرجه أحمد (٣٣٨٣)، وصححه ابن حبان (٥٦٨٥).

وَمَنْ يَتَّبِعْ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»(١).

العيون إنما يبعثها القائد لتتجسس على عدوه، وتنقل له أخبار خصومه الذين يتربصون بالأمة، أما أبناؤه وبناته ورعيته الذين وُكِلَ إليه أمرُهُم، وأمر أن يجتهد في الخير لهم، فلا يمكن أن يتنصت عليهم، ولا أن يتتبع مجالسهم، بل ولا أن يدخل عليهم بغير استئذان وهو الأب القائد صلوات الله وسلامه عليه.

حتى من بلغه أنه ينافق وأنه يجتمع مع مجلس نفاق أو يجتمع لفعل شيء محرم، كان ﷺ يرفض أن يبعث إليه ليتجسس عليه، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: **كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ** حَرْمَلَةُ بن زَيْدٍ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، الإِيمَانُ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ، وَالنِّفَاقُ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ، وَلا يَذْكُرُ الله إِلا قَلِيلا، فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَرَدَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَسَكَتَ حَرْمَلَةُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِطَرَفِ لِسَانِ حَرْمَلَةَ، فَقَالَ ﷺ: **اللهمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَارْزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى الخَيْرِ»**، فَقَالَ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب في الغيبة ٤/ ٢٧٠ (٤٨٨٠)، وأحمد (١٩٧٧٦).

حَرْمَلَةُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي إِخْوَانًا مُنَافِقِينَ كُنْتُ فِيهِمْ رَأْسًا أَفَلا أَدُلُّكَ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا، مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْتَنَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ كَمَا اسْتَغْفَرْنَا لَكَ، وَمَنْ أَصَرَّ عَلَى ذَنْبِهِ فَالله أَوْلَى بِهِ، وَلا تَخْرِقْ عَلَى أَحَدٍ سِتْرًا»(١).

وهكذا فهم أصحابه ﷺ، فعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ: أنه حرس ليلة مع عمر ﷺ بالمدينة، فبينما هم يمشون شبَّ لهم سراجٌ في بيتٍ، فانطلقوا يؤمُّونه (أي يقصدونه) حتى إذا دنَوْا منه، إذا باب مُجَافٌ (أي مغلق) على قوم، لهم فيه أصواتٌ مرتفعةٌ ولَغَطٌ، فقال عمر ﷺ - وأخذ بيد عبد الرحمن -: أتدري بيتُ مَنْ هذا؟ قال: لا، قال: هو ربيعةُ بنُ أميةَ بنِ خَلَف، وهم الآن شُرَّبٌ (أي يشربون الخمر) فما ترى؟ قال عبد الرحمن: أرى أنا قد أتينا ما نَهى اللهُ عنه، نهانا الله فقال: ﴿ولا تجسسوا﴾ (الحجرات:١٢) فقد تجسسنا! فانصرف عمر عنهم وتركهم (١).

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قال: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٤٧٥).

(١) أخرجه عبد الرزاق ١٠/ ٢٣١ (١٨٩٤٣)، وصححه الحاكم ٤/ ٤١٩ (٨١٣٦) ووافقه الذهبي.

بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، الله يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ»(١).

وفي رواية عَنْ أَبِي فِرَاسٍ النهدي أن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «مَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ خَيْرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ لَنَا شَرًّا ظَنَنَّا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ، سَرَائِرُكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ..» الحديث(٢).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: أُتِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فَقِيلَ: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ رضي الله عنه: «إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذْ بِهِ»(٣).

وعَنْ دُخَيْنٍ كَاتِبِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قُلْتُ لِعُقْبَةَ: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَأَنَا دَاعٍ لَهُمْ الشُّرَطَ فَيَأْخُذُوهُمْ. فَقَالَ: لَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، بَاب الشُّهَدَاءِ الْعُدُولِ ٥/ (٢٦٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٦) ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح في كتاب: الأدب، باب: في النهي عن التجسس ٤/ ٢٧٢ - ٢٧٣ (٤٨٩٠)، وصححه الحاكم ٤/ ٤١٨ (٨١٣٥).

تَفْعَلْ، وَلَكِنْ عِظْهُمْ وَتَهَدَّدْهُمْ. قَالَ: فَفَعَلَ فَلَمْ يَنْتَهُوا، قَالَ: فَجَاءَهُ دُخَيْنٌ فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْتُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا وَأَنَا دَاعٍ لَهُمْ الشُّرَطَ، فَقَالَ عُقْبَةُ: وَيْحَكَ لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا»**[1].

ولا يلجأ النبي القائد ﷺ إلى هذه الصورة القبيحة القميئة التي لايكون همُّ الراعي فيها إلاأن يتعرف على خصوصيات رعيته، ليُخوِّفهم ويُرهبهم، ليسمعوا ويطيعوا بلا وعي، فهذا خلاف الولاية الصحيحة التي أرادها الحبيب ﷺ.

٥ – قائد صبور يتغافل عن الأخطاء:

يأتيه أحد الناس الذين يسيئون الأدب معه فيلقاه بالسماحة والرفق، ويصبر على إساءته، ويدع معاقبته، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله اعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْتُ**

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٩٥)، وأبو داود في كتاب: الأدب، باب: في الستر على المسلم ٤/ ٢٧٣ (٤٨٩١)، وصححه ابن حبان (٥١٧).

وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**دَعْهُ**... » الحديث.

وفي رواية أن الرجل قال له: اتَّقِ الله يَا مُحَمَّدُ!! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَمَنْ يُطِعْ الله إِنْ عَصَيْتُهُ؟! أَيَأْمَنُنِي** (يعني الله عز وجل) **عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟!**» قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ.. الحديث

وفي رواية أن الرجل قال: اتَّقِ الله، فَقَالَ ﷺ: «**وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ الله؟!**» ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ الله أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «**لَا؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي**» قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**...» الحديث.[1]

وحين يصل إليه أن أحد رعيته قد أساء القول فيه، والناقل له من أخص أصحابه الثقات، يذكِّرُ نفسه بما أصاب إخوانه من

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب:، بَاب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ ٢/ ٧٤١-٧٤٤ (١٠٦٤).

الأنبياء ويصبر، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ قِسْمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: وَالله مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَجْهَ الله! فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ وَقَالَ: «رَحِمَ الله مُوسَى، **لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»(١).

وفي رواية أنه ﷺ قَالَ: «**لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**» قَالَ عَبْدُ الله: فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَالٍ فَقَسَّمَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَجُلَيْنِ جَالِسَيْنِ وَهُمَا يَقُولَانِ: وَالله مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِقِسْمَتِهِ الَّتِي قَسَمَهَا وَجْهَ الله وَلَا الدَّارَ الْآخِرَةَ! فَتَثَبَّتُّ حِينَ سَمِعْتُهُمَا فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ فَاحْمَرَّ وَجْهُهُ وَقَالَ: «**دَعْنِي عَنْكَ! فَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»(٢).

وحين يبلغه عن فئة من الرعية أنهم أساءوا فهم تصرف من تصرفاته الحكيمة لا يتأخر في شرح تصرفه وبيان مراده واستلال ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، بَاب مَنْ أَخْبَرَ صَاحِبَهُ بِمَا يُقَالُ فِيهِ ١٠/ ٤٧٥ (٦٠٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، بَاب فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ٥/ ٦٦٧ (٣٨٩٦).

في صدور الرعية واسترضائهم، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا (أي غضبوا) إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ الله بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ الله بِي؟**» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: «**مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ الله ﷺ؟**» قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: «**لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا** (يعني طريدا فآويناك ونصرناك...)**أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**»(١) .

بل أعظم من هذا وأكرم في قيادته الحكيمة ﷺ أنه كان يعلم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف ٨/ ٤٧ (٤٣٣٠) ومواضع أخرى، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/ ٧٣٨ - ٧٣٩ (١٠٦١).

يقينا أن المنافقين الذين عادوا إليه بعد غزوة تبوك يلتمسون الأعذار كاذبون، وكان ﷺ يأتيه الواحد منهم فيأخذه بظاهر حاله، يقول: يا رسول الله استغفر لي فقد كان عندي عذر كذا، فيقول ﷺ: «**غفر الله لك**»، والدليل على أنه كان يعلم حالهم: أنه لما أقبل كعب بن مالك وصاحباه، تبسَّم إليه تبسُّم المُغضب، ولما قال كعب بن مالك: والله ما كان لي من عذر، وقال كذلك صاحباه، قالﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ**»، إذن هو يعلم أن الذي سبق كاذب، لكن هكذا يكون القائد الشفوق ﷺ؛ لأنه لا يريد أن يبثّ في الأمة هذه الروح، فيلتفت كل الناس إلى الوقيعة بعضهم ببعض عنده حين يكون سمّاعاً، وحين يكون أُذناً لمن يأتيه بالظن والتهمة، فيسمع لهذا وذاك، وتشيع بين الأمة هذه الروح الفاسدة المفسدة، كما هي طبيعة الحاكم المستبد، الذي يجمع حوله أصحاب المصالح، فيحيكون ويخترعون ويفترون له القصص والحكايات؛ تقربا إليه وإيقاعا بالآخرين لديه.. أما هو ﷺ فكان يرفض هذه الطريقة، بل كان يقول للمسلمين كما سبق: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا!!**»

هذا هو الرئيس القائد الذي يقود الأرواح والقلوب والعقول.

٦ - قائد حريص على الشورى وحرية الرأي والتعبير:

جاء القائد الكريم ﷺ بمنهج عنوانه ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾، ولما أدَّت الشورى في غزوة أحد إلى الخروج للقاء العدو خارج المدينة على خلاف رغبته ﷺ وتقديره، ثم انتهت المعركة إلى ما انتهت إليه بسبب مخالفة الرماة أمرَه ﷺ، وقال المنافقون ﴿**لو أطاعونا ما قتلوا**﴾ أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ تأكيدا لمبدأ الشورى ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾ (آل عمران:١٢٩)إلزاماً للنبي ﷺ بالشورى على الرغم مما حدث.

بل يقول ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:«**لَوْ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا**»(١) .

وقد مارس ﷺ هذه الشورى في مختلف القضايا الكبرى والصغرى التي تهم الأمة، ومن أمثلة ذلك ما حصل في الحديبية، فعن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ زَمَانَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ رَسُولُ الله

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٩٩٤).

ﷺ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ يُخْبِرُهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَسَارَ رَسُولُ الله ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ قَرِيبٌ مِنْ عُسْفَانَ أَتَاهُ عَيْنُهُ الْخُزَاعِيُّ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ قَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِشَ، وَجَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ، وَإِنْ نَجَوْا** -وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ: مَحْزُونِينَ وَإِنْ يَحْنُونَ- **تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا الله، أَوْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَا نَبِيَّ الله إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَلَمْ نَجِئْ نُقَاتِلُ أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَرُوحُوا إِذًا**». قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ...» الحديث[1] .

---

(١) أخرجه أحمد(١٨٩٢٨) وأخرج الترمذي كلام أبي هريرة في كتاب الجهاد، باب مَا جَاءَ فِي الْمَشُورَةِ ٤/ ١٨٦ عقب ذكر المشورة في أسرى بدر(١٧١٤).

وقد التزم ﷺ بنتائج هذه الشورى وإن خالفت رأيه، واستشار أهل الاختصاص فيما هو من اختصاصهم، وأخذ برأيهم فيما برعوا فيه، ولم يجعل رأيه ملزما لهم فيما هو من شؤون الحياة الخاضعة لخبرات الناس وتطورات الأحوال كالزراعات والصناعات ونحوها مما يكون رأيه فيها على سبيل الظن؛ لا على سبيل التبليغ وبيان الأحكام الشرعية، كما حصل في قصة تلقيح النخل، فعن طَلْحَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ: «**مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟**» فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا**» قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ؛ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ الله شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ؛ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ**»(١) .

بل كان يستشير أصحابه في كثير من أموره الخاصة وأمور

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، بَاب وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا دُونَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ ٣/ ١٨٣٥ (٢٣٦١).

بيته، فلما حصلت قصة الإفك وقال المرجفون ما قالوا في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ استشار أصحابه في الأمر وقال ﷺ: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا**(أي عابوا أو اتهموا) **أَهْلِي**...»(١) .

فإذا كان النبي المعصوم الذي يتلقى الوحي من الله مأموراً بأن يشاور أمته، وأن يشاور من حوله، فكيف بمن دونه؟!

كما كان ﷺ يعد الحرية في التعبير عن الرأي مدخل الإصلاح الناجح الذي جاءت به رسالته المباركة، وكان يستعمل الحجة لا الإكراه في إقناع واستمالة المخالفين، ويبشر الأمة التي تتخذ من خيارها أمراءَها وتجعل أمرها شورى بينها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ فَظَهْرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا**»(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ٨/ ٤٨٧ (٤٧٥٧)، ومسلم في كتاب التوبة، بَاب فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ ٤/ ٢١٣٨(٢٧٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب...٤/ ٤٥٩(٢٢٦٦).

وعلى هذا ربّى ﷺ أصحابه، فلما تولوا أمر الناس من بعده جعلوه ﷺ قدوتهم في ذلك، فعزُّوا وسعدوا وأعزُّوا أمتهم وديَنهم، فهذا عمر ﷺ كان حينما يعطى عماله (أي موظفيه الذين سيتولون أمور الناس) خطاب التكليف، يقول لهم: «أيها الناس: إن الله عظم حقه فوق خلقه، ثم يقول: إني لم أبعثكم أمراء ولا جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يُقْتَدَى بكم، فلا تمنعوا الناس حقوقهم فتظلموهم...»(١) .

وكان ﷺ يوضح لعماله وأمرائه أنهم ذاهبون لإصلاح أحوال الناس ومساعدة الرعية، ثم يقول ﷺ: «أما والله، لا يأتيني أحد برجل ظلمه أو أخذ حقه، إلا وجعلت له القصاص منه»(٢) .

وكان ﷺ يقول للرعية من جميع الأقطار: «أَلَا إِنِّي وَالله مَا أُرْسِلُ عُمَّالِي إِلَيْكُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ وَلَا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَّتَكُمْ، فَمَنْ فُعِلَ بِهِ شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِذَنْ لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ» فَوَثَبَ

---

(١) أخرجه أبو يوسف القاضي في كتاب الخراج.

(٢) أخرجه أبو يوسف القاضي في كتاب الخراج.

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَعِيَّةٍ فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ أَئِنَّكَ لَمُقْتَصُّهُ مِنْهُ؟ قَالَ: «إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ إِذَنْ لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُقِصُّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلَا لَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتُذِلُّوهُمْ، وَلَا تُجَمِّرُوهُمْ(أي لا تحبسوهم في الرباط والثغور عن العودة لأهليهم) فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلَا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتُكَفِّرُوهُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهُمْ الْغِيَاضَ فَتُضَيِّعُوهُمْ»(١).

وما دام هناك حرية، وما دام هناك شورى وما دام هناك عدالة، فإن بهذا ينجح المشروع الإصلاحي وتنجح القيادة الحكيمة.

٧ - قائد رافض للقسوة:

يقول ﷺ: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ**» وقد تعلم منه الصحابة الكرام هذا، حتى إن أحدهم وهو عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ -وكان جبارا- فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ**» فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ. فَقَالَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦) ورجاله ثقات.

لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتْ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ(١).

وفي رواية أن عائذ بن عمرو ﷺ قال: يا للمسلمين، وهل كان لأصحاب محمد ﷺ نخالة؟؟ بل كانوا لُبَابا، والله ما أدخل عليك مادام فيَّ الروح.

هذا جيل عظيم رباه القائد على هذه المعاني فلم تكن فيهم نخالة، ولم يكن فيهم أراذل؛ لأنه جيل تربى تربية صحيحة.. قاده قائد أحسن قيادته؛ فأخرج منه جيلا كريما قائدا نافعا لنفسه ولأمته..

والحطمة -كالهُمَزة واللُّمَزة- هو الشديد الحطم، فيقال لكثير الحطم وكثير الاستبداد: حطمة، فهو الذي يظلم رعيته ولا يرحمهم، وهو الذي يسوق رعيته سوقا شديدا عنيفا لا رفق فيه، ويأخذهم بالشدة.

ويقال: الحطمة هو الأكول الحريص الذي يأكل ما يرى

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، بَاب فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ ٣/ ١٤٦١(١٨٣٠).

ويقضمه، فإن دأب الإمام الجائر أن يكون سيءَ النفس ظالماً بطبعه، شديدَ الطمع فيما في أيدي رعيته، لا يحرص على نفعهم بقدر ما يحرص على نفع نفسه ولو بظلم رعيته، ولا ريب أن ثمة تحالفا بين المال الحرام والاستبداد السياسي يجعل من الراعي القاسي شر الرعاة على الإطلاق..

وحينما يكون الراعي كذلك فإن الناس ينظرون إليه نظر الطير للصائد لا نظر الجند للقائد أو الأولاد للوالد، ومن ثم يكونون أخوف ما يكونون منه، وهو ينظر إليهم أيضا نظر الصائد الذي ينتهز الفرصة لكي يقتنص صيده.

هذه الحالة النفسية التي تحصل للرعية جراء هذا السوق العنيف، وهذه الطريقة الشديدة في رعاية الناس وفي رعاية مصالح الناس، لا بد أن تعود على الأمة بالخذلان والخسران.

فلا يمكن أن تحمل الأمة مشروعا ناجحا أو رسالة نافعة إذا كانت العلاقة بين القائد وبين عامة الشعب بهذه الصورة العنيفة التي وصفها رسول الله ﷺ.

حين يفرض القائد على الأمة ألا تسمع إلا له وألا تسير إلا خلفه، وحينما يمنعها أن تبدي آراءها وحين يسلب حريتها

وكرامتها، وحين يبيع قضاياها الكبرى رخيصة لعدوها، وحين يفرض عليها أن تسير هذا السير الشديد الذي يؤلمها ويتعبها، وحين يرى أنه لا يستتب أمره إلا بقهرها، فإنها لابد أن تفكر في التخلص منه.

وإذا نظرنا إلى مراحل السقوط في تاريخنا الإسلامي قاطبة، وجدنا أنها دائما ما تمر بمراحل من الأمراء الحطمة، من الأمراء الذين يسوقون الأمة بأهوائهم وآرائهم غير عابئين بالرفق بالرعية أو بأخذها إلى ما فيه صلاح حالها.

فإذا نظرنا في المقابل إلى حالات السمو التي مرت بها هذه الأمة في تاريخها الطويل، وجدنا أن الله سبحانه وتعالى حين يرزقها براع رقيق رفيق يأخذ بيدها؛ فإن النهضة والعزة والمجد تكون من نصيبها.

لننظر إلى المجدد الأول بعد رسول الله ﷺ، سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله، هذا الذي كان يأخذ الرعية برفق، ويدعو عماله إلى أن يأخذوا الرعية برفق.

أرسل إليه اثنان من ولاته وأمرائه يقولان: نرى أن الناس لا يصلحهم إلا السيف، فقال عمر رحمه وقد كتب إليهما: خبيثين من

الخبث ورديئين من الرديء، أتعرضان لي بدماء المسلمين، والله لدمكما أهون عليّ من دماء المسلمين(١).

ولهذا كانت المدة اليسيرة التي تأمَّر فيها عمر رحمه الله على المسلمين (سنتين وخمسة أشهر وبضعة أيام) كفيلة بأن ترفع لواء الأمة من جديد وأن تعيد لها نهضتها من جديد. وهذا ما نحن في أمس الحاجة إليه.

٨ – قائد لا يؤاخذ الناس بالظن والتهمة ولا يبتغي الريبة في الرعية:

كان ﷺ من شدة شفقته كقائد يرفض أن يُؤاخذ الناس بالظنّ، أو يُعاقبهم على مجرد التهمة، ليس هذا فقط، ولكنه يدعو القائد والحاكم ورئيس الأمة، وكل قائد على أي مستوى.. الأب مع أبنائه والمدير في مصنعه.. وكل من يلي أمرا من أمور المسلمين، إلى عدم تتبع عورات الناس أو ابتغاء الريبة والتهمة في الرعية، حتى لا تفسد الرعية.

روى عدد من الصحابة والتابعين عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء

الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ»(١) .

وعَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ: كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَفَعَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا(٢).

قال العلماء: إن الأمير إذا ابتغى الريبة - أي طلب الريبة أي التهمة - في الناس، بنية فضائحهم أفسدهم، وما أمهلهم وجاهرهم بسوء الظن فيهم، فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظنَّ بهم ورُمُوا به، ففسدوا.

ومقصود الحديث: حثُّ الإمام على التغافل وعدم تتبع العورات، فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام، والإنسان قلَّ

---

(١) الحديث عن جبير بن نفير، وكثير بن مرة، وعمرو بن الأسود، رحمهم الله، وعن المقدام بن معديكرب وأبي أمامة ﷺ، أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في النهي عن التجسس ٤/ ٢٧٢ (٤٨٨٩)، وأحمد (٢٣٨١٥)، وغيرهما.

(٢) أخرجه أبو داود في الموضع السابق (٤٨٨٨)، والبخاري في الأدب المفرد ص ٩٦ (٢٤٨)، وغيرهما.

ما يسلم من عيبه، فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع واتسع المجال، بل يستر عيوبهم ويتغافل ويصفح، ولا يتبع عوراتهم، ولا يتجسس عليهم.

وكذلك فإن الأمير إذا تتبع ما أمر الله تعالى بترك تتبعه امتثل الناس ذلك منه، وفعلوا مثل فعله، فكان في ذلك إفسادهم.

فالأمير عندما يعامل الناس على أساس أنهم جميعا يتآمرون عليه، فإنه سيتجسس ويتصنت ويضع العيون هنا وهناك. وهو بذلك يُفسد الناس؛ لأنه في هذه الحالة ستجد منافقًا يريد أن يتقرب منه، ويقول له: فلان يشتمه، وهو كاذب، وسوف يصدقه الأمير، لأنه يريد أن يسيطر على جميع الناس، فيصبح المجتمع عبارة عن مجموعة منافقين يضرب بعضها بعضا؛ فيفسد المجتمع!! ويصير مجتمعا ينظر إلى القائد نظر الطير إلى الصائد، والعكس فيصبح القائد يتعامل مع شعبه تعامل من يريد أن يوقعه في حفرة!! فيفسد المجتمع!!

وبهذا عمل خامس الراشدين حين عيَّن أميرا على الموصل فرأى كثرة السُّرَّاق بها فكتب إلى عمر يقول: هل آخذهم بالظِّنَّة وأضربهم على التهمة، أم آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة؟

يرى هذا الراعي أو هذا الوالي أنه لو عامل الناس بالحق والعدل والقانون وما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فإن ذلك يُطْمِع بعضَ النفوس الضعيفة في أن تتعدد سرقاتها ويتعدد فسادها، ويعرض له بأن لو أنه أخذ الناس بالشدة ولو أخذهم التهمة ولو أخذ كل مشتبه فيه، لكان هذا سبيلا ناجحا لإصلاح الناس في البلد، فكتب إليه عمر رحمه الله: خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

يقول هذا الوالي: ففعلت ذلك، فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا ونهبا[١].

فإن بَدَا له ﷺ شيء بالأدلة القاطعة والبينات الواضحات؛ عاقب صاحبه، وبالعقوبة الشرعية دون زيادة، وإلا لم يقبل الظنّ أيا كان، ولعل بعض الناس تحوم حوله قرائن كثيرة، من الشك، ومع ذلك يرفض النبي ﷺ أن يؤاخذه بهذه الظنّة، أو أن يعاقبه على التهمة.

فعن عبد الله بن عدي الأنصاري أن النبيﷺ بَيْنَمَا هو جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ النَّاسِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ يستأذنه فَسَارَّهُ (زاد في رواية: فَلَمْ

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء

يُذَرَ مَا سَارَّهُ بِهِ حَتَّى جَهَرَ رَسُولُ الله ﷺ فَإِذَا هُوَ يَسْتَأْذِنُهُ) فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَجَهَرَ النبي ﷺ بكلامه وقال: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» بَلَى يا رسول الله وَلَا شَهَادَةَ لَهُ. قال: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَالَ: بَلَى يا رسول الله وَلَا شَهَادَةَ لَهُ. قَالَ: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟» قَالَ: بَلَى وَلَا صَلَاةَ لَهُ. فَقَالَ النبي ﷺ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نُهِيتُ عَنْهُمْ»(١).

بل يرفض أن يتغير صدره على رعيته و يقول للذي يأتي إليه ليبلغه أن فلانا قال كذا، أو فعل كذا مما قد يوغر صدره، ويغير قلبه على رعيته: «لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»(٢).

٩ – قائد يأسف لإنزال العقوبة بأحد من الرعية:

كان ﷺ حين يُضطر إلى إيقاع العقوبة بمسلم ارتكب خطأً أمام الناس فشهد عليه الشهود، يظهر على وجهه الأسف

---

(١) الحديث صححه ابن حبان (٥٣٧١)، وأخرجه مالك في الموطأ عن عبيد الله بن عدي بن الخيار مرسلا في كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة ص١٧١ (٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، بَاب فِي رَفْعِ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجْلِسِ ٤/ ٢٦٥ (٤٨٦٠).

والغضب؛ كما حصل عند أول مرة قطع فيها سارقا، فعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: إِنِّي لَأَذْكُرُ أَوَّلَ رَجُلٍ قَطَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ، أُتِيَ بِسَارِقٍ فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ وَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺقَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَأَنَّكَ كَرِهْتَ قَطْعَهُ! قَالَ: «**وَمَا يَمْنَعُنِي؟ لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ! إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِمَامِ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَدٌّ أَنْ يُقِيمَهُ، إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ﴾**» (النور٢٢)[(١)]. وفي رواية قَالَ: وَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺيَقُولُ: ذُرَّ عَلَيْهِ رَمَادٌ.

صلى الله عليك يا رسول الله! يغضب مع أنه يقيم حدا من حدود الله، ولكنه ﷺ كان حريصا كقائد أن تكون رعيته على الوجه المطلوب.

وهذا ما كان يفعله كبار الصحابة ﷺ من الأئمة الخلفاء: فأبو بكر الصديق ﷺ يقول: «لو أخذْتُ شارباً لأحببتُ أن يستَرَه الله، ولو أخذتُ سارقاً لأحببتُ أن يستَرَه الله »[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٦٨)، ٤١٩(٣٩٧٧)، وصححه الحاكم ٤/ ٤٢٤ (٨١٥٥).

(٢)أخرجه ابن أبي شيبة ٥/ ٤٧٤ (٢٨٠٨٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٥/ ١٣،

١٠ - قائد ينصف ويدعو إلى القصاص من نفسه :

كان ﷺ يُعرّض نفسه إلى الاقتصاص منه إذا حصل شيء يوجب القصاص منه، فعن عُمَرَ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُقِصُّ مِنْ نَفْسِهِ(١).

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد معه حنيناً قال: إني والله لأسيرُ إلى جَنْب رسول الله ﷺ على ناقةٍ لي، وفي رجلي نعلٌ لي غليظةٌ، إذْ زحَمَتْ ناقتي ناقةَ رسول الله ﷺ، ويقع حرفُ نعلي على ساقِ رسول الله ﷺ فأوجعه. قال: فقرع قدمي في السوط، وقال: «**أَوْجَعْتَنِي، فَأَخِّرْ عَنِّي**» قال: فانصرفتُ، فلما كان من الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني. قال: قلت: هذا والله لما كنتُ أصبتُ من رِجْل رسول الله ﷺ بالأمس. قال: فجئتُه وأنا أتوقع (يعني يتوقع أن يعاقبه النبي ﷺ)، فقال لي: «**إِنَّكَ قَدْ كُنْتَ أَصَبْتَ رِجْلِي أَمْسِ بِنَعْلِكَ فَأَوْجَعْتَنِي، فَقَرَعْتُ قَدَمَكَ بِالسَّوْطِ، فَدَعَوْتُكَ لِأُعَوِّضَكَ**» قال: فأعطاني

وصحح ابن حجر إسناد ابن أبي شيبة في الإصابة ٢/ ٦٢٩

(١) أخرجه النسائي في كتاب القسامة، باب الْقِصَاصُ مِنَ السَّلَاطِينِ ٨/ ٣٤.

رسول الله ﷺ ثمانين نعجةً بالضربة التي ضربني(١).

وفي رواية أنه ﷺ قال: «بِسْمِ الله، أَوْجَعْتَنِي». يقول هذا الصحابي: فَبِتُّ لِنَفْسِي لائِماً أَقُولُ: أَوْجَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ! قَالَ: فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ كَمَا يَعْلَمُ الله، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: أَيْنَ فُلانٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَالله الَّذِي كَانَ مِنِّي بِالأَمْسِ! قَالَ: فَانطَلَقْتُ وَأَنَا مُتَخَوِّفٌ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكَ وَطِئْتَ بِنَعْلِكَ عَلَى رِجْلِي بِالأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِي، فَنَفَحْتُكَ نَفْحَةً بِالسَّوْطِ، فَهَذِهِ ثَمَانُونَ نَعْجَةً فَخُذْهَا بِهَا**»(٢).

فهل رأيتم مثل هذا الإنصاف- بل الإكرام- لآحاد الرعية أيها العقلاء؟

بل كان ﷺ في غاية الحرص قبل لحوقه بالرفيق الأعلى أن يقتص منه كل من يرى له حقا عنده، ويكرر ذلك على الناس،

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ١/ ١٢٣ (٤٠٨)، والطبري في التاريخ ٢/ ١٧٦، بسند صحيح إلى ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر به، فإن كان عبد الله سمعه من هذا الصحابي - وهو محتمل -فالإسناد صحيح.

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب: سخاء النبي ﷺ ١/ ٤٨ (٧٠).

ويدعوهم إلى عدم التردد في ذلك بزعم الخوف من أن يتغير عليهم قلبه، ويدعو أصحابه والأمة كلها -وفي القلب منها أمراؤها- إلى ذلك.

فعَنِ الْفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ الله ﷺ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ مَوْعُوكًا قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «خُذْ بِيَدِي يَا فَضْلُ» فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمِنْبَرِ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صِحْ فِي النَّاسِ» فَصِحْتُ فِي النَّاسِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي حُقُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدَّ مِنْهُ، أَلا وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدَّ مِنْهُ، أَلا لا يَقُولَنَّ رَجُلٌ: إِنِّي أَخْشَى الشَّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ الله ﷺ، أَلا وَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلا مِنْ شَأْنِي، أَلا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ الله وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، أَلا وَإِنِّي لا أَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَارًا».

ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَعَادَ لِمَقَالَتِهِ فِي الشَّحْنَاءِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَرُدَّهُ وَلا يَقُولُ فُضُوحَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ»، فَقَامَ

إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي عِنْدَكَ ثَلاثَةَ دَرَاهِمَ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّا لا نُكَذِّبُ قَائِلا وَلا نَسْتَحْلِفُهُ، فَبِمَ صَارَتْ لَكَ عِنْدِي؟**» قَالَ: تَذْكُرُ يَوْمَ مَرَّ بِكَ مِسْكِينٌ، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَدْفَعَهَا إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: «**ادْفَعْهَا إِلَيْهِ يَا فَضْلُ**»، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: عِنْدِي ثَلاثَةُ دَرَاهِمَ كُنْتُ غَلَلْتُهَا فِي سَبِيلِ الله. قَالَ: «**وَلِمَ غَلَلْتَهَا**» قَالَ: كُنْتُ إِلَيْهَا مُحْتَاجًا، قَالَ: «**خُذْهَا يَا فَضْلُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ خَشِيَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا فَلْيَقُمْ أَدْعُو لَهُ...**» الحديث(١).

وفي رواية أنه ﷺ أَتَى بَيْتَ عَائِشَةَ، فَقَالَ لِلنِّسَاءِ مِثْلَ مَا قَالَ لِلرِّجَالِ(٢).

أي قائد كان هذا النبي العظيم ﷺ! وأي تعليم للقادة والحكام قدمه توجيها وتطبيقا، حتى لا يكون لأحد على الله حجة من بعده ﷺ!

تلك كانت بعض أخلاقه وسماته ﷺ كقائد؛ ولهذا نجح في إقامة أمة عظيمة كريمة استطاعت أن تفتح آفاق الدنيا، وعلى أثره

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٨/ ٢٨٠ (٧١٨).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٦٨٢٤).

سار الصالحون.. لم تكن القيادة عندهم تحطيما وتدميرا واستبدادا واستكبارا وفرضا للهيمنة بالقوة، بل كانت رحمة وعدلا وأخذا بمجامع القلوب وأقطار النفوس باللين والحكمة.

أختم بتلميذ من تلاميذه.. بعمر بن عبد العزيز رضوان الله تعالى عليه.. هذا النموذج العجيب الذي أخذ هذه القدوة وطبقها، فصلحت الحياة على يديه، وأصلح الله في عامين على يدي عمر ما فسد في سنين كثيرة جدا..

هذا الخليفة الكريم العالم رضوان الله تعالى عليه كان واليا على المدينة للوليد بن عبد الملك، وقد ساس أهلها سياسة حسنة صالحة، وجاء الحجاج بن يوسف الثقفي وكان واليا على العراق، فدخل على أهل المدينة يسألهم عن عمر: كيف هيبته فيكم؟ قالوا: ما نستطيع أن ننظر إليه هيبةً له. قال: كيف محبتكم له؟ قالوا: هو أحب إلينا من أهلنا. قال: فكيف أدبه فيكم (يعني تأديبه للرعية وعقابه للمخطئين) قالوا: ما بين الثلاثة الأسواط إلى العشرة. قال الحجاج: هذه هيبته، وهذه محبته، وهذا أدبه؟! هذا أمر من السماء[1].

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٣٠

إن الحجاج القائد الغشوم الذي لا يعرف شيئا أقل من قطع الرقاب، والحبس بلا حساب، يرى نموذجا عجيبا جدا، تخرج في مدرسة القيادة النبوية الحكيمة العادلة، فيقول هذه المقالة. إي والله أمر من السماء.. وكل قائد يتبع هذا القائد القدوة ﷺ في طريقته يكون أمره مؤيدا من السماء.

نسأل الله العظيم أن يسير بنا على سنته وأن يحينا على ملته، وأن يجعلنا من أهل شفاعته.. إنه ولي ذلك والقادر عليه..

❁❁❁❁❁❁

مؤلفات الدكتور عبد الرحمن البر

١ - المستفاد من مبهمات المتن و الإسناد لأبي زرعة ابن العراقي - تحقيق (رسالة الماجستير) ٣ مجلدات - طبع دار الوفاء بالمنصورة .

٢ - صيد الخاطر لابن الجوزي - تحقيق - طبع دار اليقين بالمنصورة .

٣ - عوامل الهدم و البناء في المجتمع الإسلامي - طبع دار نور الإسلام بالمنصورة.

٤ - رياض الصائمين - طبع دار الوفاء بالمنصورة .

٥ - الهجرة النبوية المباركة دراسة تحليلية موثقة - طبع دار الكلمة بالمنصورة .

٦ - قطوف من الأدب النبوي دراسة موضوعية في السنة المطهرة - طبع دار الكلمة بالمنصورة.

٧ - مناهج و آداب الصحابة في التحمل و الأداء - طبع دار اليقين بالمنصورة .

٨ - التحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية - طبع دار اليقين بالمنصورة .

٩ - الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبي - تحقيق - طبع دار اليقين بالمنصورة .

١٠ - مختصر التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة للقرطبي - اختصار الشعراني - تحقيق - طبع دار اليقين بالمنصورة .

١١ - دروس من السيرة النبوية في العهد المدني - طبعة خاصة .

١٢ - السنة النبوية بين أهل الحديث و أهل الرأي (رسالة الدكتوراه) - تحت الطبع .

١٣ - شرح مختارات من كتاب تحريم الدم من سنن النسائي - طبعة خاصة .

١٤ - بذل المجهود في شرح أحاديث الحدود - طبعة خاصة .

١٥ - تيسير علوم الحديث ج ١ - طبع شركة منارات للإنتاج الفني والعرض [illegible] - القاهرة.

١٦ ـ الحديث المنكر – تحت الطبع .
١٧ ـ وقفات تربوية مع الصائمين – طبع دار اليقين بالمنصورة .
١٨ ـ الأضحية : فضلها وأحكامها وآدابها – طبعة خاصة .
١٩ـ الجهاد في سبيل الله طريق النصر – طبعة خاصة .
٢٠ ـ الإصلاح المنشود – طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢١ ـ شرح المنتقى من أحاديث الأحكام (الجزء الأول : العبادات)–تحت الطبع.
٢٢ ـ شرح مختارات من كتاب الجهاد من صحيح البخاري – طبعة خاصة .
٢٣ ـ التذكرة في حكم الموعظة والدعاء على المقبرة – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات – القاهرة.
٢٤ ـ السمات العشر للرسول القائد القدوة – طبع شركة منارات للإنتاج الفني.
٢٥ ـ السمات العشر للرسول المعلم القدوة – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٦ ـ منهج الرسول القدوة في تربية جيل النصر – طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات
٢٧ ـ دفاع عن أبي هريرة رضي الله عنه _ طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات .
٢٨ ـ لماذا الرسول قدوتنا طبع شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات.

الفهرس